

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٩٢) ﴿

سورة آل عمران، ٩٢:٣

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى بَذْلِ الْمَالِ وَحْدَهُ؛ فَمُشَارَكَةُ عَلْمِنَا مَعَ الْآخَرِينَ، وَتَخْصِيسُ وَقْتٍ مِنْ يَوْمِنَا لَهُمْ، وَالْأَخْذُ بِيَدِ شَابٍ وَمُسَاعَدَتُهُ، وَالسُّؤَالُ عَنْ حَالِ جَارٍ مُسِيٍّ، وَزِيَارَةُ مَرِيضٍ، وَجَبْرُ خَاطِرِ قَلْبٍ مَكْسُورٍ؛ كُلُّ ذَلِكَ يُعَدُّ مِنْ صُورِ الْإِنْفَاقِ وَالْإِحْسَانِ. وَيَجِبُ لَنَا أَنْ نُورَثَ أَبْنَاءَنَا، لَا الْمَالِ وَالنَّرْوَةَ فَحَسْبُ، بَلْ نُورَثَهُمْ حُبَّ الْعَطَاءِ، وَرُوحَ الْمُشَارَكَةِ، وَشُكْرَ النِّعْمَةِ، وَالشُّعُورَ بِالْأَمِ الْآخَرِينَ وَهُمُومِهِمْ. لِأَنَّهُ إِذَا غَابَتِ الرِّحْمَةُ قَلَّتِ الْبَرَكَةُ، وَإِذَا غَابَ التَّرَاحُمُ وَالتَّكَافُلُ ضَاعَ الشُّعُورُ بِالنِّعَةِ وَالْأَمَانُ بَيْنَ النَّاسِ.

وَلَنَتَذَكَّرُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرِيدُ مِنَّا كَثْرَةَ أَمْوَالِنَا، وَإِنَّمَا يُرِيدُ مِنَّا عَنَى النُّفُوسِ وَسَلَامَةَ الْقُلُوبِ. فَكُلُُّ إِنْفَاقٍ نَبْذُلُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى تَقِينِنَا بِرَبِّنَا، وَعَلَى يَقِينِنَا بِوَعْدِهِ. فَالْيَدُ الْمُعْطِيَةُ إِنَّمَا هِيَ يَدٌ تَتَّقُ بِوَعْدِ اللَّهِ، وَتَرْجُو مَا عِنْدَهُ، وَتُوقِنُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفْاضِلُ،

وَكَمَا جَرَتْ عَادَةُ مُؤَسَّسَتِنَا فِي كُلِّ عَامٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُونَا هَذَا الْعَامَ أَيْضًا مِنْ خِلَالِ حَمَلَةِ الْإِنْفَاقِ إِلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَالْبَذْلِ. وَسَتَقَامُ عَشْرَاتُ الْمَشَارِعِ فِي مَنَاطِقِنَا بِفَضْلِ مُسَاهِمَاتِنَا وَدَعْمِنَا، حَيْثُ سَتُبْنَى وَتُعَمَّرُ الْمَسَاجِدُ، وَمَبَانِي الْخِدْمَاتِ، وَالْمَرَاكِزُ التَّعْلِيمِيَّةُ، وَالْمَدَارِسُ، لِنَتَكُونَ مَنَارَاتٍ لِلْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَخِدْمَةِ النَّاسِ. فَإِذَا كُنَّا نُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي تُقَامُ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنِ صَدَقَةً جَارِيَةً لَنَا، وَأَعْمَالًا تَبْقَى حَسَنَاتُهَا فِي صَحَائِفِنَا وَلَا يَنْقَطِعُ أَجْرُهَا، فَلْنَبَادِرْ إِلَى بَذْلِ مَا آتَانَا اللَّهُ مِنْ إِمْكَانَاتٍ، وَلِنَشْتَرِكْ فِي الْخَيْرِ بِمَا نَسْتَطِيعُ، وَلِنَكُنْ مَعَ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَلِنُسَهِّمَ فِي نَشْرِ الْخَيْرِ، وَلِنَجْعَلَ مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْقَاتِنَا وَجُهِودِنَا وَسَبِيلَةَ لِعِمَارَةِ بُيُوتِ اللَّهِ، وَخِدْمَةِ النَّاسِ، وَبِنَاءِ أَجْيَالٍ نَافِعَةٍ.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ الْحَلَالَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِنْفَاقَ نِعْمَةٌ وَلَيْسَ عَيْثًا، وَيَبْذُلُونَ لِلْمُحْتَاجِ مَعَ حِفْظِ كَرَامَتِهِ وَعِزَّتِهِ، وَيَجْعَلُونَ الرِّحْمَةَ فِي مَرْكَزِ حَيَاتِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَمْوَالِنَا وَأَعْمَالِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا مَا أَنْفَقْنَا، وَاجْعَلْهُ لَنَا دُخْرًا يَوْمَ نَلْقَاكَ.



عَنْ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ قَالَ:

" الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، ... "

البخاري، كتاب الزكاة، ١٨

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ،

إِنَّ دِينَنَا الْحَنِيفَ الْإِسْلَامَ، كَمَا نَظَّمُ جَمِيعَ جَوَانِبِ حَيَاتِنَا، نَظَّمْ كَذَلِكَ عِلَاقَتَنَا بِالْمَالِ؛ لِأَنَّ الْمَالَ لَيْسَ مِلْكًا حَقِيقِيًّا لِلْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمَانَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَالْإِنْفَاقُ هُوَ أَنْ يَبْذُلَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذِهِ الْأَمَانَةِ، فَيُشَارِكَ بِهَا الْمُحْتَاجِينَ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ. وَلِذَلِكَ ذُكِرَتِ الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ لِأَنَّ السُّجُودَ يُقَوِّي صِلَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَالصَّدَقَةَ تُقَوِّي الرِّابِطَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالنَّاسِ.

يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فَهَذَا يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الرِّيحَ الْحَقِيقِيَّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَإِدْخَارِهِ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا فِي بَذْلِهِ وَإِنْفَاقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُشَارَكَتِهِ مَعَ الْمُحْتَاجِينَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ،

إِنَّ عَصْرَنَا الْحَالِيَّ يَنْشُرُ تَقَافَةً تُشَجِّعُ عَلَى التَّبَذِيرِ وَالْإِسْرَافِ، وَتَقْيِسُ قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ بِمَا يَمْلِكُهُ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ. فَأَصْبَحَ كَسْبُ الْمَزِيدِ، وَامْتِلَاكُ الْمَزِيدِ، وَإِنْفَاقُ الْمَزِيدِ، هَدَفًا مِنْ أَهْدَافِ الْحَيَاةِ. لَكِنَّ الْأَقْتِصَادَ الَّذِي جَاءَ الْإِسْلَامُ بِبِنَائِهِ قَائِمٌ عَلَى الرِّحْمَةِ لَا الْمُنَافَسَةِ، وَعَلَى الْمُشَارَكَةِ لَا الْأَنَانِيَّةِ. إِنَّ الصَّدَقَةَ تُسَهِّمُ فِي سَدِّ حَاجَةِ الْفَقِيرِ، وَفِي الْوَقْفِ نَفْسِهِ تُطَهِّرُ قَلْبَ الْعَبْدِ. إِنَّهَا تُحَوِّلُ الْبُحْلَ إِلَى كَرَمٍ، وَالطَّمْعَ إِلَى قَنَاعَةٍ، وَالشُّعُورَ بِالْوَحْدَةِ إِلَى أُخُوَّةٍ وَتَكَافُلٍ. لِأَنَّ الْإِنْفَاقَ لَيْسَ مُجَرَّدَ مَالٍ يَخْرُجُ مِنَ الْيَدِ، بَلْ هُوَ رَحْمَةٌ تَنُمُو فِي الْقَلْبِ وَتَرْذِيرٌ. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ شَرِيفٍ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ». وَقَالَ ﷺ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ» وَتَعَلَّمْنَا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ أَنَّ الْإِنْفَاقَ